﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [آل عمران: 161]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا بالغ تعالى في الحثِّ على الجهاد أتبعه بذكر أحكامه، ومن جملتها المنع من الغلول، فذكر هذه الآية في هذا المعنى[1]؛ لكون الغلول من أعظم موجبات الخِذلان، والنّزاهة عنه من أعظم موجبات النّصر، ولذلك كان أنسب الأشياء تعقيب هذه الآية بآية الغلول بيانًا؛ لأنّه كان سبب هزيمتهم في غزوة أُحدٍ، فإنّه لا يُخْذَلُ إلّا بالذّنوب، ومن أعظم الذّنوب الموجبة للخذلان الغلول[2]. فالغلول: تعجُّلٌ بأخذ شيء من غال الغنيمة، ولا تجد غير هذا يصلح لأن يكون مناسبًا لتعقيب آية النَّصر بآية الغلول[3].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لِنَبِيٍّ﴾: النُّون والباء والحرف المعتلُّ أَصلٌ صحيحٌ يدُلُّ على ارتفاعٍ في الشَّيءِ عن غيره، ومنه قيل: إنَّ النَّبيّ ﷺ اسمُهُ مِنَ النَّبوّة، وهو الارتفاعُ، كأَنَّه مُفضَّلٌ على سائر النَّاس برَفعِ مَنزِلَتِه. والنَّبيُّ: الطَّريقُ، والأَنبياء: طُرق الهُدى[4]. ومَن هَمَزَ النَّبيَّ فلأنّه أَنبأَ عنِ اللّهِ تعالى، فالنُّون والباءُ والهمزَةُ قِياسُهُ الإتيانُ مِن مكانٍ إلى مكانٍ، ومنه النَّبأُ: الخبرُ؛ لأنّه يأْتي مِن مكانٍ إلى مكانٍ[5]. فلفظة النّبيّ أُخِذَت من العُلُوّ؛ لشَرَفه، فالنّبيُّ أرفعُ خلقِ اللّه. وقد جاءَ من استعمالات العرب للفظ النّبيّ: العَلَمُ من أعلام الأرض المرتفعة الّتي يُهتَدَى بها. ومراعاة هذا القيد تجمع إلى النّبيّ الشَّرف مع الهداية. ويجوز أن يكون بمعنى مُنبِئ من اللّه أو مُنبِئ عنِ اللّه، أي: مُخبِر عنه[6].

(1) الرّازي، مفاتيح الغيب: 9/411.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 5/109 - 110.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/154.
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (نبا)، وابن فارس، مقاييس اللغة: (نبو).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نبأ).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نبو).

2) ﴿يَغُلَّ﴾: غَلَّ يَغُلُّ: إذا خان. وأَصْلُه مِن الغَلِّ: وهو التّخَلُّلُ بين الشّيْءِ، يُقال: تَغَلْغَلَ الماءُ في الشّجَرِ: إذا تَخَلَّلَها، ومنه سُمِّيَ المَسْروقُ مِن الغَنِيمَةِ غُلولاً؛ كأَنّ صاحِبَهُ قد غَلَّهُ بين ثِيابِهِ، وقِيلَ: سُمِّيَ غُلُولاً؛ لأنّ الأَيْدي فِيهِ مَغْلُولَةٌ، أيْ: مُقَيّدَةٌ بِالأَغْلالِ[1]. والغُلول: تناول مال الغير بضرب من المكيدة، وكثر استعماله في الغنيمة[2]. فهو أخذ شيء من الغنيمة بدون إذن أمير الجيش، والتّعجل بأخذ شيء من مال الغنيمة. قال أبو عبيد: "الغُلولُ في المغنم خاصَّةً، ولا نراه من الخيانة ولا من الحقد. وممَّا يبيِّن ذلك أنَّه يقال من الخيانة أَغَلَّ يُغِلُّ، ومن الحقد غَلَّ يَغِلُّ بالكسر، ومن الغُلولِ غَلَّ يَغُلُّ بالضم"[3]. ويُطلق الغلول على الخيانة في المال مطلقًا[4]. ومعنى ﴿أَن يَغُلَّ﴾ ما كان بِنَبِيّ أَن يَخُونَ أمَّتَه. والإغلالُ: الخيانَة في المغانم، وغيرِها[5].

3) ﴿يَأْتِ﴾: من (أتي - أتو - أتى) الهمزة والتّاء والحرف المعتلّ ياءً، أو واوًا، أو ألفًا، يدلُّ على مجيء الشَّيء وإصحابهُ وطاعته[6]. فالإتيان: المجيءُ[7]، وهو الدّنوُّ والقُربُ، يُقَال للرّجل إذا دنا من عدوّه: أُتِيتَ أَيّها الرّجُل. و﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النّحل: 1]، أَي: قَرُبَ ودنا[8]، وكُلُّ مَسِيلٍ سَهَّلتَه لماءٍ: أَتِيٌّ، وطَريق مِيتاء، أَي: مسلوكٌ واضح[9]. ومنه قيل: للإتيان: مجيء بسهولة، فالإتيان: يُقال للمجيء بالذّات وبالأمر وبالتّدبير، ويُقالُ في الخير وفي الشَّرّ وفي الأعيان والأعراض[10].

4) ﴿تُوَفَّىٰ﴾: الواو والفاء والحرف المعتلُّ كلمةٌ تدلُّ على إكمالٍ وإتمام. ومنه توفَّيتُ الشَّيءَ واستَوفَيته؛ إذا أخذتَه كُلّه حتَّى لم تترك منه شيئاً. ومنه يُقال للميِّت: تَوفَّاه اللّه[11].

(1) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والرّازي، مختار الصحاح، والفيروزابادي، القاموس المحيط: (غل - غلل).
(2) الرّاغب، المفردات: (غل)، وتفسير الرّاغب: 3/957.
(3) الجوهري، الصحاح: (غلل).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/154 - 155.
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (غل).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أتو).
(7) الجوهريّ، الصّحاح: (أتا).
(8) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (أتى).
(9) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (باب: فعليل)، وابن سيده، المحكم: (أتى).
(10) الرّاغب، المفردات: (أتى).
(11) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وفي).

وتوفية الشّيء: بذله وافيًا، والوافي: الّذي بلغ التّمام. وأوفى: إذا تمّم العهد، ولم ينقض حفظه[1]، ومعنى اللّفظة في الآية الكريمة: تُعطى غير منقوصٍ.

5) ﴿نَفْسٍ﴾: النَّفس: الرّوحُ، ونفس الشَّيء: عينه يؤكّد به[2]. فمعنى النَّفس: جُملَة الشَّيء وحقيقَته. تقول: قَتَلَ فلانٌ نفسَه وأهلَكَ نفسَه، أي: أَوقعَ الإهلاكَ بذاتِه كلّها وحَقِيقَته؛ فنَفسُ الشَّيء ذاتُه، والجمعُ من كلّ ذلك أنفُسٌ ونُفوسٌ[3]. وخلاصة استعمال القرآن الكريم لكلمة نفس أنّها تُستعمل: بمعنى الذّات، أي: الفرد من النَّاس، وذلك في الجمهور الأعظم من المَواضِع[4]، ومنه اللّفظ الوارد في الآية الكريمة.

6) ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾: الظّاء واللّام والميم أصلان صحيحان، أحدهما خلاف الضّياء والنّور، والآخر وَضعُ الشَّيء في غير مَوضِعه تعدِّيًا[5]. وهو الإنقاص، ويُقال: ظَلَمَ القومَ؛ إذا سَقَاهم اللَّبن قبل إدراكِه، وإخرَاج زُبدته[6]، والظُّلم: الجَورُ ومُجاوزَةُ الحدِّ[7]، والظّلم: الميل عن القصد، والظَلَمَةُ: المانعون أهل الحقوق حقوقهم[8]، والظّلم: وضع الشّيء في غير مَوضِعه المختصّ به؛ إمّا بنقصان أو بزيادة؛ وإمّا بعدول عن وقته أو مكانه، والظّلم: يُقال في مجاوزة الحقّ، ويُقال فيما يكثُر وفيما يقلُّ منَ التّجاوز، ولهذا يُستعمل في الذّنب الكبير، والذّنب الصّغير. وقيل: الظّلم ثلاثة: ظلمٌ بين الإنسان وبين الله تعالى، وأعظمه: الكفر والشّرك والنّفاق، وظلمٌ بينه وبين النّاس، وظلمٌ بينه وبين نفسه، وكلُّ هذه الثّلاثة في الحقيقة ظلم للنّفس؛ لأنَّ الإنسان في أوّل ما يهمّ بالظّلم فقد ظلمَ نفسه[9].

والظّلم: ضدّ العدل، وهو حجب ما ينبغي أو ما يُستَحق، أي: منعه أو انتقاصه[10]. ومعنى لا يظلمون في الآية: نفي كلِّ معاني الظّلم المذكورة.

(1) الرّاغب، المفردات: (وفي).
(2) الجوهريّ، الصّحاح، والرّاغب، المفردات: (نفس).
(3) ابن سيده، المحكم: (نفس).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نفس).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ظلم).
(6) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (ظلم).
(7) ابن الأثير، النّهاية: (ظلم).
(8) ابن منظور، لسان العرب: (ظلم).
(9) الرّاغب، المفردات: (ظلم).
(10) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ظلم).

## ❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

مقام النّبوّة ينافي رذائل الصّفات

ما صحَّ ولا استقام على من اختارهم الله لنبوَّته أن يخون في المغنم، بأن يأخذ شيئًا من الغنيمة غيرَ ما اختصَّه الله به؛ لأنّ الخيانة تتنافى مع مقام النّبوّة الّذي هو أشرف المقامات، ومن يرتكب شيئًا من ذلك يأت بما غَلَّه يوم القيامة حاملًا إيّاه؛ ليكون فضيحة له يوم الحشر؛ ليُؤخذ بإثم غُلوله وخيانته، ثم تُعطى كلُّ نفس جزاء ما اكتسبته تامًّا غير منقوص، وهم لا يُظلمون بزيادة سيئاتهم، ولا بنقص حسناتهم[1].

وترشدُ الآية الكريمة إلى صيانةِ الله تعالى أنبياءَه عن كلِّ ما يدنِّسهم ويقدحُ فيهم، وجعلهم أفضل العالمين أخلاقًا، وأطهرهم نفوسًا، وأزكاهم وأطيبهم، ونزَّههم عن كل عيب، وجعلهم محلَّ رسالته، ومعدِنَ حكمتِه، ونهيِ المؤمنين عن الاستباق إلى المغنم[2]، وتجنُّبِ دنيِّ الفعال، بلهَ اتِّهام الآخرين بها.

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

### بلاغةُ عطف المقصد على المقصد:

النّظرُ إلى الغنائم وعدمُ الالتفات إلى مرضاةِ الله يوقع في الغلول

عُطِف قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ على مجموع الكلام السَّابقِ من بابِ عطفِ المقصد على المقصد، وموقعه عقب جملة: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ﴾؛ لأنّها أفادت أنّ النّصر بيد الله والخذل بيده، وذلك يَستلزم التّحريض على طلب مرضاته ليكون لطيفًا بمن يرضونه. وإذ كانت هذه النّصائح والمواعظ موجَّهة إليهم ليعملوا بها فيما يستقبل من غزواتهم، نبّهوا إلى شيء يستخفّ به الجيش في الغزوات، وهو الغلول ليعلموا أنّ ذلك لا يرضي الله تعالى فيحذروه، ويكونوا ممّا هو أدعى لغضب الله أشدّ حذرًا، فهذه مناسبة التّحذير

(1) طنطاوي، التّفسير الوسيط: 2/321، ونخبة من العلماء، التفسير الميسر، ص: 71.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 5/113، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 71.

من الغلول، ويعضد ذلك أنّ سبب هزيمتهم يوم أُحد هو تعجّلهم إلى أخذ الغنائم[1].

### لُطفُ التّعريض في الآية:

نفيُ الغلولِ عنه ﷺ إثباتٌ لغيره

نُقل عن ابن الجوزيّ أنّه أشار إلى أنَّ قولَه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ من ألطف التّعريض، إذ قد ثبتَت براءة ساحة النّبيّ ﷺ من الغُلول، فدلّ على أنّ الغلول في غيره[2]، فإنَّ النَّفي المطلق عن النَّبيِّ ﷺ يدلُّ على وجودِ المنفيِّ في غيره.

### بلاغةُ النّفي بالتّعبيرِ ﴿وَمَا كَانَ﴾:

المبالغةُ في نفي أن يـقـعَ منه غلولٌ في أيِّ حالٍ من الأحوال

أفادت صيغة النَّفي في قولِه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ المبالغة، وأصل هذا التَّركيب في الكلام أنَّه في نفي الأفعال، فلمّا أُريدت المبالغة في النّفي عدل عن نفي الفعل إلى نفي المصدر الدّالّ على الجنس، وجعل نفي الجنس عنِ الشّخص بوساطة نفي الاستحقاق، فصار التّركيب: ما كان له أن يفعل، ويُقال أيضًا: ليس له أن يفعل[3].

وهذا التّعبير أبلغ من قولهم: ما صحّ ولا استقام لنبيّ أن يغلّ، أي: يخون في المغنم؛ لكونه نفيًا للشّأن الّذي هو أبلغ من نفي الفعل؛ لأنّه عبارة عن دعوى بدليل، كأنّه يقول هنا: إنّ النّبيّ لا يمكن أن يقع منه ذلك؛ لأنّ الله قد عصم أنبياءه من الغلّ والغلول فهو لا يقع منهم[4]. فذلك ليس من شأنه أصلًا، ولا من طبعه، ولا من خلقه، فالنّفي هنا نفي لإمكان وقوع الفعل، وليس نفيًا لحلِّه أو جوازه، فطبيعة النّبيّ الأمينة العادلة العفيفة لا يتأتّى أن يقع منها الغلول مُطلقًا.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/154.
(2) القمّاش، جامع لطائف التّفسير: 18/20.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/293 - 294.
(4) رضا، تفسير القرآن الحكيم: 4/177.

### سرُّ اختيار لفظ النّبيّ دون الرّسول:

نفيُ الغلولِ عن الأنبياء شاملٌ للرُّسل بخلافِ العكسِ

آثر النَّظم الكريمُ استعمال كلمة النّبيِّ دون الرّسولِ، وذلك لتشملَ كلَّ نبيٍّ ورسول؛ فإنَّ كلّ رسول نبيٌّ وليس العكس كذلك، فلمَّا نفى الغلول عمَّن اتَّصف بالنُّبوة شملَ ذلك الجميع، ولو أتى بلفظ الرسول لاقتصر على الرُّسلِ دون الأنبياءِ، فهو نفيٌ للغلول عن عموم الأنبياء السّابقين له بما رسّخته صيغة تنكير لفظ النّبيّ من عموم، وبما تضمّنه اللّفظ من معنى السَّير على منهج سابقيه من الأنبياء سلوكًا، وعِظَمَ خُلقٍ.

### سرّ تنكير لفظ النّبيّ:

عمومُ النفيّ لجميعِ الأنبياء عليهم السلام

أفاد التّنكير في لفظِ (نبيّ) التّعميم، فلا يُتصوَّرُ الغلول من أيّ نبيٍّ، وإذا كان التَّنكيرُ للتّعميم؛ لأنّه تنكيرٌ في مقام النّفي، فمُؤدّى الكلام أنّ النّبوّة والغلول نقيضان لا يجتمعان، فما كان لأحد أن يظنَّ أنَّ النّبيّ سوف يظلم فَيَقْسِم بخلافِ السّويّة، وإذا وقع ذلك الظّنّ فهو منَ الظّنّ الإثم[1].

### فائدة اللّام في لفظ ﴿لِنَبِيٍّ﴾:

المبالغة في نفي الغلول عنه في أصلِ الأمرِ

اللّام الدَّاخلةُ على لفظِ ﴿لِنَبِيٍّ﴾ هي أصل لام الجحود الّتي في نحو ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ [الأنفال: 33]، فتراكيب لام الجحود كلّها من قبيل قَلْبِ مثل هذا التّركيب لقصد المبالغة في النّفي، بحيث ينفي أن يكون وجود المسند إليه مجعولًا لأجل فعل كذا، أي: فهو بريء منه بأصل الخلقة، ولذلك سُمّيت جحودًا[2]، ومعنى اللّام هنا الاستحقاقُ، وبوساطة نفي الاستحقاق نفي شأنِ الغلولِ عن النّبيّ ﷺ.

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3/1483.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/294.

### نكتةُ استعمالِ لفظ الغلول:

الغلولُ يورِّثُ الأحقادَ والضَّغائنَ بين النَّاسِ

أصلُ لفظِ الغلول الغللُ، وهو دخول الماء في خلال الشّجر، فسمّيت الخيانة غلولاً؛ لأنّها تجري في المال على خفاء كجري الماء، ومنه الغلّ الحقد؛ لأنّ العداوة تجري في النّفس مَجرَى الغلل[1]، ولمَّا كان أخذُ المال من الغنائم يورِّث الأحقادَ بين النَّاس لأنَّه ظلمٌ وخيانةٌ سُمِّي غلولًا.

قال المبرّد: "ويُستعمل مستعارًا في غير المال، يُقال: غلّ يغلّ كقول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾، ويُقال: أغلّ فهو مغلٌّ، إذا صُودف يغلّ، أو نُسب إليه"[2].

### احتمالُ الإسنادِ المجازيِّ في إسناد الغلول إلى النّبيّ:

نفيُ الغلولِ عن الجيشِ أبلغُ في مدحِ النَّبيِّ وتنزيهه

ويحتملُ حملُ قولِه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ﴾ على معنى النَّهي والتَّحذير أن يغلَّ أحدٌ من جيش رسول الله ﷺ، فيكون معنى أنَّ النّبيّ لا يغلّ: أنّه لا يقع الغلول في جيشه؛ فإسنادُ الغلول إلى النّبيّ مجاز عقليّ لملابسة جيش النّبيّ نبيّهم، ويجوز أن يُجعل على تقدير مُضاف، والتّقدير: ما كان لجيشِ النبيِّ أن يغلّ[3]، وعلى هذا الاحتمالِ فإنَّ نفيَ الغلولِ عن رسولِ الله أبعدُ شَوْطًا، وأرسخُ مدحًا.

### علّة حذف المفعول:

نفي صفة الغلول إطلاقًا

حُذِف مفعول الفعل المضارع ﴿يَغُلَّۚ﴾، ولم يُقدّر له مفعول؛ لأنّ الغرض نفي هذه الصّفة إطلاقًا دون تعلّق بمفعول معيّن؛ ويُبنى على نفي إمكان الغلول إثبات الأمانة مؤكّدًا[4].

### توجيه القراءات القرآنيَّة في لفظِ ﴿يَغُلَّۚ﴾:

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم: (يَغُلَّ) بفتح الياء وضمّ الغين،

(1) الماورديّ، النّكت والعيون: 1/434.
(2) المبّرد، الكامل في اللّغة والأدب: 1/283.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/155.
(4) الجلالان، المفصّل: (هامش المحقّق: 1)، ص: 239.

وقرأ الباقون بضمّ الياء وفتح الغين[1]، ومعنى قراءة الجمهور: نهيُ جيش النّبيّ عن أن يغلّوا؛ لأنّ الغلول في غنائم النّبيّ ﷺ غلولٌ للنّبيّ؛ إذ قسمة الغنائم إليه، وعلى قراءة ابن كثير وأبي عمرو وعاصم فالمعنى: أنّ النّبيَّ لا يغلّ؛ أي: أنّه لا يقع الغلول في جيشه بحسب ما سبق ذكره[2].

نهي الجيشِ عن الغلولِ بنفيه عن النّبيّ

وهناك توجيهٌ آخر للقراءتين وهو أن يُقال: القراءتان قد جمعتا بين معنيين تربويين متدرجين، أما المعنى الأول فهو نهي الأمة عن الظن الباطل بنبيها؛ لأن ذلك يؤدي إلى الإخفاق والهزيمة؛ أي: لا تظنُّوا أنَّه يغلُّ، وأما المعنى الثاني فهو تهديد لمن أتبع الظن الباطل قولاً باطلاً وتهمة باطلة وسلوكاً باطلاً، أي: اتَّهم النَّبيَّ في الغلولِ، على أن يكون: ﴿يَغُلَّ﴾ بمعنى يُتَّهم بالخيانةِ، وعليه تكون القراءة الأولى المبنية للفاعل ممهدةً للقراءة الثانية، وكأن الخطاب: لا تظنوا ظنَّ السوء لكي لا تقعوا في قول السوء، وعمل السوء فتهلكوا، وهذا من بديع القرآن في تربية الأمة على المسلك الحسن في اعتقادها وقولها وعملها، من خلال تعدد القراءات القرآنية للكلمة الواحدة.

القراءات القرآنيَّة تتعاضدُ في تربية الأمّةِ

### بلاغةُ الجملة الشّرطيّة في الرَّدعِ عن الإغلالِ:

قوله: ﴿وَمَن يَغْلُلْ﴾ جملةٌ شرطيّةٌ مستأنفةٌ لا محلَّ لها من الإعراب، وإنّما جِيء بها للرَّدع عنِ الإغلال[3].

### سرّ تغاير صيغةِ فعل الغلول:

استعملتِ الآيةُ صيغتي ﴿يَغُلَّ﴾ و﴿يَغْلُلْ﴾، ولذلك لا ترادفَ بين هاتين الصَّيغتين في الآيةِ والعرب استعملت الصّيغتين على تباينٍ بين معنيي: (فَعَّلتُ وأفعَلتُ)؛ فأفعَلتُهُ: أدخَلتُ ذاك فيه، وفَعَّلتُ:

نفي المعنيين أدفع للاحتمال، وإمكان المقال

(1) ابن الجزريّ، النّشر: 2/276.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/155.
(3) السّمين، الدّرّ المصون: 3/468.

كَثَّرتُ ذاك فيه[1]؛ فجاء النَّظمُ بالصّيغتين إرادةً لنفي المعنيين، وهو أدفع للاحتمال، وإمكان المقال.

### جمالُ الجناس الاشتقاقيّ:

في قوله: ﴿يَغُلَّ﴾، و﴿يَغْلُلْ﴾، و﴿بِمَا غَلَّ﴾ تجنيسٌ مماثِلٌ[2] أكسب التَّعبير جمالًا وحسنًا، باتّحاد الجرس، وتناسق الإيقاع، وأحدث ميلًا للنّفس نحو التّشوق والإصغاء لطبيعة الغلول، وكيفيّته، وبلاغة تنزيه الأنبياء عنه.

### التّعبيرُ بالفعل (يأت) دون غيره:

الأنبياءُ منزَّهونَ عن الغلول

عبَّرتِ الآيةُ بالفعل: ﴿يَأْتِ﴾ لدلالته على قصد المجيء لا تحقّقه، وهو أنسبُ في تنزيه الأنبياء عن شنيع هذا الفعل الذي لا يليقُ بمقامِهم، وعصمتهم صلوات ربّي عليهم جميعًا، من التّعبير بفعل المجيء الدّالّ على تحقّق الحصول.

### التّعبير بإتيان الغلول بين الحقيقة والمجاز:

يُحاسبُ الغالُّ على إثم الغلول يومَ القيامةِ

جُعِلَ الإتيان بالغلول يوم القيامة مجازًا عن الإتيان بإثمِهِ تعبيرًا بما غلّ عمّا لزمه من الإثم مجازًا، فالمُراد أنّ الله تعالى يحفظ عليه هذا الغلول، ويعزِّرُه عليه يوم القيامة ويجازيه؛ لأنّه لا تخفى عليه خافية، أو المُراد أنّه يشتهر بذلك مثل اشتهار من يحمل ذلك الشّيء، وذهب الرّازيّ إلى أنّه مع احتمال هذا التّأويل إلّا أنّ الأصل المُعتَبر في علم القرآن أنّه يجب إجراءُ اللّفظِ على الحقيقة، إلّا إذا قام دليلٌ يمنعُه منه، وهاهنا لا مانعَ من الظّاهر، فوجب إثباته[3].

### تردُّدُ معنى ﴿بِمَا﴾ بين الموصوليَّةِ والمصدريَّةِ في قولِه: ﴿يَأْتِ بِمَا غَلَّ﴾:

(ما) في قولِه: ﴿يَأْتِ بِمَا غَلَّ﴾ إمَّا أن تكون موصولةً بمعنى الذي،

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (غلّ).
(2) السّمين، الدّرّ المصون: 3/469.
(3) القاسميّ، محاسن التّأويل: 2/451.

فالعائدُ محذوفٌ، أي: يأتِ بالذي غلَّه، ويجوزُ أَن تكون مصدريّةً، وتكونُ على حَذفِ مضاف، أي: يأتِ بإثمِ غلولِه[1]، والتّعبيرُ عنه بصيغةِ الإبهامِ الدّالِّ على العمومِ إطلاقٌ لجنسِه ونوعِه.

### وجه الوصل في جملة ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ﴾:

بيان أنّ ذلك الجزاء ليس مختصًّا بمَن غلَّ، بل كلّ نفس توفّى جزاء ما كسبت

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ جملة معطوفة على الجملة الشّرطية السَّابقة ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ فلمّا ذكر الغلول، وما يجري لصاحبها يوم القيامة، انتقل لبيانِ الجزاءِ العامِّ، فكلُّ نفسٍ تُوفَّى جزاء ما كسبت من غيرِ ظُلمٍ، فصار الغالُّ مذكورًا مرّتين: مرّة بخصوصه، ومرّة باندراجه في هذا العامّ ليعلم أنّه غير مُتخلّص من تبعة ما غلّ، ومن تبعة ما كسبت من غير الغلول[2].

التّنبيه على العقوبة بعد التّفضيح

وفي قوله: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ تنبيهٌ على العقوبة بعد التّفضيح، إذ قد علم أنّ الكلام السّابق مسوق مساق النّهي، ومن جملة النّفوس الّتي توفّى ما كسبت نفس من يغلل، فقد دخل في العموم[3].

### دلالة العطف بـ ﴿ثُمَّ﴾:

الدّلالة على طول مهلة التّفضيح

جيء بـ (ثمّ) للدّلالة على التّراخي بين إحضار الأعمال بأوزارِها ثمّ بعد تولّي جزائها، فإنّ هذا التّراخي يفيد طول الحساب، وطول الحساب عذاب في ذات نفسه، وهو في الوقت ذاته يدلّ على دقّته؛ إذ تُقام الموازين بالقسط[4]، وللإشعار بالتّفاوت الشّديد بين حمله ما غلّ وجزائه وسوء عاقبته يوم القيامة[5].

(1) السّمين، الدّرّ المصون: 3/468.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/107.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/156.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3/1485.
(5) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 2/322.

### فائدة العدول عنِ التّعبير بالفعل (يوفّى) إلى (توفّى):

تعميمُ جزاءِ كلِّ نفسٍ ليكون برهانًا على خصوصِ جزاءِ الغالّ

ما يقتضيه الظَّاهر أن يكون النَّظم: (ثمّ يوفّى ما كسبت) أي: الغالّ؛ ليتّصل بما قبله، لكنّه عمّم الحكمَ معبّرًا بالفعل ﴿تُوَفَّىٰ﴾؛ لأنّ صاحبَ الغلولِ إذا علم أنّ هاهنا مُجازِيًا يُجازي كلّ أحد على عمله سواء كان خيرًا أم شرًّا، علم أنّه غير متخلّص من بينهم مع عظم ما اكتسب[1]. فيكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه، فإنّه إذا كان كلّ كاسب مجزيًا بعمله فالغالُّ مع عظم جُرمه بذلك أولى[2]. فمن فوائد ذكر هذا الجزاء بصيغة العموم؛ الإعلام والإخبار للغالّ وغيره من جميع الكاسبين[3].

### سبب وضع المكسوبِ مَوضِعَ جزائِه:

تحقيقُ العدل ببيان ما بين المكسوبِ والجزاءِ من التّناسبِ

ذهب العماديّ إلى أنّ وضعَ المكسوبِ في قوله تعالى: ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ مَوضِعَ جزائِه فلم يقل: (ثم توفّى كلُّ نفسٍ جزاءها)، تحقيقٌ للعدل التَّامِّ، ببيان ما بين المكسوبِ والجزاءِ من تمام التّناسُب كمّاً وكيفاً، كأنّهما شيءٌ واحد[4].

### إسناد التّوفيةِ إلى كلّ كاسبٍ وتعليقها بكلّ مكسوبٍ:

توفيةُ كلِّ كاسبٍ على أقلِّ الأعمالِ دالٌّ على فظاعة توفيةِ الغالّ

إسنادُ التَّوفية إلى كلِّ كاسبٍ مع أنَّ السِّياقَ في بيانِ حالِ الغالِّ عند إتيانِه بما غلّه يوم القيامة، من الدّلالة على فخامة شأن اليوم وهول مطلَعه والمبالغة في بيان فظاعة حال الغالّ مالا يخفى، فإنّه حيث وُفِّيَ كلُّ كاسبٍ جزاءَ ما كسبه، ولم يُنقَص منه شيءٌ، وإن كان جُرمُه في غاية القِلّة والحقارة فلأَنْ لا يُنقَصَ من جزاء الغالِّ شيءٌ - وجُرمُه من أعظم الجرائم - أظهر وأجلى[5].

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/435، والرّازي، مفاتيح الغيب: 9/414.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/46.
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 2/322.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/107.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/107.

### نكتة التّعبير بضمير الفصل، والجملة الاسميّة:

تأكيد المساواة بين الجزاء والعمل، ونفي الظّلم نفيًا مُؤكّدًا

في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ تأكيد للمساواة، وفيه أيضًا نفيٌ للظّلم نفيًا مُؤكّدًا بالتّعبير بالجملة الاسميّة، إذِ المعنى أنّهم ليس من شأنهم أن يظلموا؛ لأنّ الله تعالى خالقهم، والله تعالى لا يظلم مُطلَقًا؛ لأنّه لا يليق بكماله تعالى، ولأنّه كتب العدل على نفسه، وإنّ التّسوية بين الجزاء والعمل هي القانون العادل الذي سنّه ربُّ العالمين، فلا تستوي الحسنة ولا السّيئة، ولا يستوي الخير والشّرّ[1]، وتقديم المسند إليه (هم) على المسند الفعليّ (يظلمون) يفيد تقوية الحكم وتوكيده.

## ❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

### الإتيان والمجيء:

مبنى الإتيان باعتبار القصد

المجيء أعمُّ من الإتيان، ويُقال اعتبارًا بالحصول، أمَّا الإتيان فيُقال باعتبار القصد[2]. ويُلاحظ في المجيء نقل الشّيء من جانب البدء، والإتيان يلاحظ فيه إيصاله إلى المنتهى فإنّ ابتداء المجيء هو جناب المُرسَل، ومُنتهى الإتيان هو المُرسَل إليه[3]؛ ولذلك ورد التعبير في الآية الكريمة بالإتيان؛ باعتبار القصد فهو إتيانٌ للمغلول – وكلُّ من خان في شَيْءٍ خُفْيةً فقدْ غَلَّ – حاصلٌ يوم القيامة؛ إذ كلُّ من أخذ مِنَ الْغَنِيمَةِ خفيةً قبل قِسْمتها، يأتِ بما أخذه حاملًا له يوم القيامة؛ ليُفضَح به في ذلك الموقفِ المشهود على رؤوس الخلائق.

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3/1486.
(2) الرّاغب، المفردات: (جاء).
(3) البروسوي، روح البيان: 3/211.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس، سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 6 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-58-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 6 : سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي
---
الترقيم الدولي : 978-9948-798-58-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2475776 بتاريخ 2023/03/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»